ÇUKUROVA ÜNİVERSİTESİ
İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ
Journal of the Faculty of Divinity of Çukurova University

Cilt / Volume: 23 • Sayı / Issue: 2 • Aralık / December 2023 • 1-20
e-ISSN: 2564-6427• DOI: 10.30627/cuilah.1365920

الظواهر الصوتية في لهجات البدو والحضر، مقارنة بين اللهجات العربية القديمة واللهجات السورية الحديثة"

Bedevi ve Şehirli Lehçelerinde Fonolojik Olgular: Eski Arap Lehçeleri İle Modern Suriye Lehçeleri Arasında Bir Karşılaştırma

Phonological Phenomena in Bedouin and Urban Dialects: A Comparison between Old Arabic Dialects and Modern Syrian Dialects

Muhammet ABAZOĞLU
Dr. Öğr. Üyesi, Kilis 7 Aralık Üniversitesi, İnsan ve Toplum Bilimleri Fakültesi, Doğu Dilleri ve Edebiyatları Anabilim Dalı, Arap Dili ve Edebiyatı Bölümü, Kilis, Türkiye.
Assist. Prof., Kilis 7 Aralık University, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Eastern Languages and Literatures, Arabic Language and Literature, Kilis, Turkiye
muhammet.abazoglu@kilis.edu.tr.com https://orcid.org/0000-0003-2153-3909

Makale Bilgisi/Article Information
Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/Research Article
Geliş Tarihi/ Received: 26.09.2023
Kabul Tarihi/Accepted: 05.12.2023
Yayın Tarihi/Published: 31.12.2023
İntihal Taraması/Plagiarism Detection: Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi/This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software.
Etik Beyan/Ethical Statement: Bu çalışmanın hazırlanma sürecinde bilimsel ve etik ilkelere uyulduğu ve yararlanılan tüm çalışmaların kaynakçada belirtildiği beyan olunur/It is declared that scientific and ethical principles have been followed while carrying out and writing this study and that all the sources used have been properly cited (Muhammet Abazoğlu)
Telif/Copyright: Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi/Published by Çukurova University Faculty of Divinity, 01380, Adana, Turkey. Tüm Hakları saklıdır / All rights reserved.

الظواهر الصوتية في لهجات البدو والحضر، مقارنة بين اللهجات العربية القديمة واللهجات السورية الحديثة

Bedevi ve Şehirli Lehçelerinde Fonolojik Olgular: Eski Arap Lehçeleri İle Modern Suriye Lehçeleri Arasında Bir Karşılaştırma

Phonological Phenomena in Bedouin and Urban Dialects: A Comparison between Old Arabic Dialects and Modern Syrian Dialects

الملخّص

يُنظَرُ إلى اللهجات العربية المعاصرة على أنها امتدادٌ للّهجات العربية القديمة التي تحتوي الكثير من الخصائص اللهجية المشتركة. هذه الخصائص تُعتَبر مقياساً للفصاحة بالنسبة لعلماء اللغة. لذلك قسموا بين لغة أهل الحاضرة وبين لغة أهل البادية، واعتبروا لغةَ سكانِ الحضرِ من القبائلِ الحجازيةِ اللغةَ الأدبيةَ والنموذجيةَ، ولغةَ سكان البادية من القبائل التّميمية اللغةَ التي تحتوي على صفاتٍ لهجيةٍ مختلفةٍ. فكانت اللهجات العربية تنقسم جغرافياً إلى قسمين؛ لهجاتُ غربي الجزيرة العربية ولهجاتُ وسطها وشرقيها. وهذا التقسيمُ مشابهٌ للبيئات اللهجية المعاصرة التي تمتاز عن بعضها بسبب التباعد الجغرافي. فالعامل الجغرافي يشكل نقطة التقاء بين اللهجات القديمة والحديثة من حيث البداوة والحضارة. وهذا التباين يشابه اللهجات السورية المعاصرة التي تنقسم إلى قسمين، يُعرفان بلهجتي "الريف" و"المدينة". وهذا البحث يحاولُ الكشفَ عن بعض الظواهر الصوتية اعتماداً على المنهج الوصفي المقارن، لعرض نقاط التشابه والاختلاف بين اللهجات العربية القديمة واللهجات السورية المعاصرة، من خلال تناول الظواهر الصوتية المختلفة كالفتح أو الإمالة، والهمز أو تخفيفه، والإبدال.

الكلمات المفتاحيّة: اللغة العربية وآدابها، علم اللهجات، اللهجات العربية القديمة، اللهجات السورية الحديثة.

Öz

Çağdaş Arap lehçeleri, eski Arap lehçelerinin uzantısı olarak görülmektedir. Bu lehçeler pek çok ortak özelliğe sahiptir. Bu özellikler dilbilimciler için fesahatın bir ölçüsünü teşkil etmektedir. Buna dayanarak dilciler şehir insanı ile çöl insanın dillerini birbirinden ayırmışlardır. Şehir sakinleri olan Hicaz kabilelerinin dilini edebi dil olarak kabul etmişler, çölde yaşayan Temim kabilelerinin dilini ise farklı lehçe özellikleri içeren dil olarak görmüşlerdir. Böylece Arap lehçeleri Arap Yarımadası'nın "batı lehçeleri" ve "orta ve doğu" lehçeleri olarak iki kısma ayrılmıştır. Bu coğrafi ayrıştırma, modern ve eski dönem lehçeleri arasında göçebe ve yerleşik çevreler açısından benzeşmektedir. Bölgeler arası bu lehçe çeşitliliği, günümüzde "kırsal" ve "şehir" lehçeleri olarak iki kısma ayrılan modern Suriye lehçelerine benzemektedir. Bu faktörlerden hareketle bu araştırma, eski Arap lehçeleri ile modern Suriye lehçeleri arasındaki benzerlik ve farklılık noktalarını ortaya koymaya çalışmaktadır. Çalışma, karşılaştırmalı betimsel metoda dayanarak lehçelerde "Feth ve İmâle", "Hemzenin vurgulanması veya yumuşatılması" ve "İbdâl" gibi bazı fonolojik olguları incelemeyi amaçlamaktadır.

Anahtar Kelimeler: Arap Dili ve Edebiyatı, Lehçe bilim, Eski Arap Lehçeleri, Modern Suriye Lehçeleri.

Abstract

Contemporary Arabic dialects are seen as an extension of the old Arabic dialects. These dialects have many common features. These features constitute a measure of eloquence for linguists. Based on this, linguists distinguished between the languages of city dwellers and desert dwellers. They accepted the language of the city dwellers, the Hijaz tribes, as a literary language, while the language of the Temim tribes living in the desert was regarded as a language with different dialectal features. Thus, Arabic dialects were divided into two parts as "western dialects" and "central and eastern" dialects of the Arabian Peninsula. This geographical division is similar between modern and ancient dialects in terms of nomadic and sedentary environments. This inter-regional dialectal diversity is similar to the modern Syrian dialects, which are now divided into two parts as "rural" and "urban" dialects. Based on these factors, this study tries to reveal the points of similarities and differences between ancient Arabic dialects and modern Syrian dialects. Based on the comparative descriptive method, the study aims to examine some phonological phenomena such as "Fath and Imāle", "Emphasis or softening of the hemza" and "Ibdāl" in the dialects.

Keywords: Arabic Language and Literature, Dialectology, Ancient Arabic Dialects, Modern Syrian Dialects.

1. مَدخَل:

لم يكن علم اللهجات على مدى القرون الأولى مجالاً يتناوله علماء اللغة العرب في كتاب مستقل، بل كانت معظم الدراسات في هذا المجال تكتفي بما تناثر من اللهجات العربية القديمة في ثنايا كتب التاريخ والأدب.[1] ولعل السبب في ذلك يعود إلى انشغال اللغويين باللغة الفصحى، التي صيغت بها الآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام، والتي تُعتبر اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم.[2] وفي العصر الحديث بدأت دراسة اللهجات العربية بمستويات بسيطة في القرن التاسع عشر على أيدي المستشرقين، ثم في بداية القرن العشرين ومع انطلاق الدراسات اللسانية العربية حسب مناهج علم اللغة الحديث، بدأ اللسانيون العرب دراساتهم المُعمَّقة في اللهجات العربية، وأفردوها في كتب خاصة ووضعوا حدودها المعرفية ومجال دراستها، حتى صارت دراسة اللهجات علماً قائماً بذاته.[3]

يتناولُ علم اللهجات دراسة اللغة من حيث العلاقة بين اللغة الأم وبين فروعها التي تنتمي إليها، ثم دراسة هذه الفروع وخصائصها في المستويات اللغوية، من الأصوات والكلمات والجمل ودلالاتها. فاللهجات العربية القديمة وإن كانت على اختلافِ بعض الأوجه إلا أنها كانت قريبة جداً من بعضها البعض، والكل يفهم لهجات القبائل الأخرى. لكن في عصرنا الحالي الأمر مختلفٌ عما قبل، نتيجة اتساع المساحات والبعد الجغرافي بين المناطق العربية. فتغيُّر البيئات الاجتماعية والانعزال الجغرافي كان له الأثر في صعوبة فهم العراقي للّهجة المغربية أو بالعكس. لكن عندما كانت اللغة العربية الفصحى لغة الدين والكتابة، كانت اللغة المشتركة بين جميع اللهجات العربية. وبالتالي فإنَّ نسبةَ الخلافِ بين اللهجاتِ العاميةِ كانت في أدنى مستوياتها.[4]

أما في مفهوم اللَّهجة وحدودِها اللُّغوية والاصطلاحية، جاء في لسان العرب: " لَهِجَ بالأمر أُولِعَ به واعتاده، واللَّهَجُ بالشيء: الولوع به، وقد أُطلقَتِ اللَّهجةُ على اللسان، وعلى طرفه، وأُطلِقَت أيضاً على جَرْسِ الكلام، ولغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها.[5]

واللَّهجة اصطلاح المحدثين عموماً وإبراهيم أنيس خصوصاً هي: "مجموعةٌ من الخصائصِ اللُّغويّة التي تنتمي إلى بيئةٍ جغرافيةٍ خاصَّةٍ، يشترك بها أفرادها".[6]

أما بالنسبة للدكتور عبد الغفار حامد هلال، اللَّهجةُ: "هي طريقة معيّنة في الاستعمال اللغوي تُوجَد في بيئة اللغة الواحدة".[7]

التعريفان السابقان وإن اختلفا في الصياغة فإنهما يتفقان في المفهوم والمبدأ. لأن كليهما يدلان على طرق الاستخدام اللغوي في بيئة معينة. اللهجات ضمن اللغة الواحدة تشتمل على جملة من الأمور تجعل العلاقةَ التأصيليةَ قائمةً بين العصور القديمة والحديثة. منها العامل الجغرافي الذي يُحيل ما بين اللهجات ليُعطيها طابعاً خاصاً يُميّزها عن غيرها. والصفاتُ الصوتيةُ المختلفة أيضاً من أهم العوامل اللَّهجيّة، لأن اللهجات بحد ذاتها هي اختلاف في الصفات الصوتية. وكذلك في تكوّن هذه اللهجات، فإنها تشترك قديمها وحديثها في نشوء هذه اللهجات وتكوينها؛ من حيث العلاقات الاجتماعية والسياسية والصراعات والهجرات.

وفي المقارنة بين اللهجات العربية القديمة والحديثة، تم التركيز على اللهجات السورية الحديثة كون هذه البلاد تحتوي على تركيبةٍ مجتمعيةٍ متنوعة تتغيَّر بين ريفيّة ومدنيّة. ومع اختلاف لهجة سكان الريف عن لهجة سكان المدينة؛ يمكن إدراج اللهجة الريفية تحت مسمى البدوية، واللهجة المدنيّة تحت مسمى الحضرية. هذه التسميات تشكِّل تناسباً بين اللهجات القديمة والحديثة. ولو أردنا التفريق بينها محلياً؛ فيمكن أن نقُسِّمها على أساس الصفات الخاصة، فإن المناطق الغربية بمدنها وأريافها مثل دمشق وحلب والساحل، نجدها ضمن الحقل الحضري. أما المناطق الشرقية وتحديداً حوض الفرات ومنطقة الجزيرة التي تشمل مدن الرقة والحسكة ودير الزور بمدنها وأريافها فإنها

---

[1] إبراهيم أنيس، *في اللهجات العربية* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2003)، المقدمة.

[2] صبحي الصالح، *دراسات في فقه اللغة* (بيروت: دار العلم للملايين، 2004)، 60.

[3] محمد شفيع الدين، "اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى: دراسة لغوية"، *مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ* 4 (2004)، 76.

[4] أحمد الجندي، *اللهجات العربية في التراث* (القاهرة: الدار العربية للكتاب، 1983)، 129/1.

[5] جمال الدين ابن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، 1993)، 359/2.

[6] أنيس، *في اللهجات العربية*، 16.

[7] عبد الغفار هلال، *اللهجات العربية نشأة وتطوراً* (القاهرة: مكتبة وهبة، 1993)، 33.

تندرج ضمن الحقل البدوي.[8] فمن خلال البحث في المراجع المختلفة في جغرافية ديار البدو، وكذلك عن طريق المقابلات الشخصية مع بعض أبناء المنطقة عن هذه الصفات الاجتماعية الجغرافية تم التأكد من انقسام الجغرافية السورية إلى قسمين يفصل بينهما نهر الفرات، الطرف الشرقي منها يُسمى بـ "الجزيرة" والغربي بـ "الشاميَّة".[9] وهذان المنطقتان تختلفان في اللهجة كما سبق الذكر. لكن مع مرور الزمن واختلاط أهل المنطقتين ببعضهما تداخلت اللهجتان في بعض المناطق المحادية للخط الفاصل بين المنطقتين. فأصبحت اللهجة البدوية واضحة في بعض مناطق وأرياف حلب وحماة وحمص الواقعة في الطرف الغربي من نهر الفرات، وكذلك انتقلت اللهجة الحضرية إلى بعض المناطق الشرقية.

في هذا البحث سيتم استخدام المصطلحين؛ "البدوي و الحضري" للتَّمييز بين الصفات اللَّهجية، وكذلك تماشياً مع ما يناسب المقارنة بين قديم اللهجات وحديثها.

1. العلاقة بين اللغة واللهجة

إن اللُّغةَ في الاصطلاح العلمي حسب ما جاء في تعريف ابن جني: هي مجموعةٌ من الأصواتِ يعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهم.[10] واللغة ليست صفة بيولوجية فحسب، بل هي ظاهرة اجتماعية سيكولوجيَّة قبل أن تكون كلماتٍ وأصواتًا وصرفًا ونحوًا، فهي تمثل عند العرب ظاهرة صوتيَّة، أو هي أداة مركَّبة من أصواتٍ فكلماتٍ فتراكيب، وهذا يلتقي إلى حدٍّ ما مع تعريف ابن جنِّي للُّغة.[11] فاللغة إلى جانب كونها أداة للتواصل فهي تمثل الجانب الاجتماعي والنفسي للبيئات اللغوية المختلفة المتمثلة باللهجات.

إن العلاقة بين اللُّغة واللَّهجة هي علاقة مرتبطة بالنَّواحي الصوتيَّة، والعناصِر التي تختصُّ بكلٍّ منهما. وهذه الثنائيَّة تتميَّز بِصفاتٍ مختلِفَة فيما بينها، مع الإشارة إلى وجود عناصِرَ مشترَكةٍ ضِمن لغات الفصيلَة الواحِدة. لكن يبدو أن مصطلح "لهجة" المعاصِر هو ذاته مصطلح اللُّغة الذي استعملَه القدماء، وعلَّة اصطلاح اللَّهجَة أنَّ المعاصرين أرادوا أن يلفتوا انتباه غيرهم إلى لهجاتِهم وإيجاد نظامٍ صوتي خاصٍّ بها.[12]

فاللغة أعمُّ من اللهجة والعلاقةُ بينهما هي العلاقة بين الأساس والفرع، فاللغة عادة تحتوي على لهجات متعددة، وكلٌ منها تتميز عن الأخرى. وكل هذه اللهجات يربط بينها عادات كلامية وصفات لغوية مشتركة تؤلف منها لغةً مستقلةً عن غيرها من اللُّغات. واللَّهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها، وإذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي تعيش فيه فإن العوامل اللغوية تحتم على الباحثين إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة. فاللغة تشبه الشجرة التي تتفرع منها الأغصان ثم تصبح أشجاراً فيما بعد.[13]

ومن خلال متوالية البيئة الواحِدة، فالبيئات المتعدِّدة التي تشتمل على عدَّة لهجات تُوصِلنا إلى مفهوم اللُّغة؛ فالتَّمازج الحاصِل بين اللَّهجة واللَّحن أمرٌ بيّن الوضوح في معاجِم اللُّغة، أما فيما بين اللُّغة واللَّهجة فقد يقع الخَلْطُ أحياناً. لو نظرنا على سبيل المثال في كلمة "صَقْر" تُنطَق بالصَّاد مرَّة، والزَّاي مرَّة أخرى. كما تُنطق بالسِّين أيضًا. قال صاحِب اللِّسان: "السَّقر: من جوارح الطير معروفٌ وهو لغةٌ في الصقر. والزقر: الصقر مضارعة، وذلك لأنَّ كلبًا تقلب السين مع القاف خاصة زاياً".[14] وهنا يتضح وجود ثلاث لهجات في كلِمة واحِدة. هذا الأمر يجعلنا أمام عدَّة مصطلحات وهي: "اللُّغة – اللِّسان– اللَّهجَة".

قد يبدو الأمر معقداً نتيجة تداخل هذه المصطلحات في الحديث عن العلاقة بين اللغة واللهجة، وليس ثَمَّة ضرورَةٌ ملِحَّة على الإسهاب في بيان هذه المصطلحات، وإدخال القارئ في نفَقٍ قد يصعُب عليه الخروجُ منه، وإذا ما تتبعنا سيرَ المصطلحات هنا نجد إبراهيم أنيس يحاول أن يخلِّصنا من هذا النفق عبر القول: "ويظهر أنَّ العرَب القدماء في العصور الجاهِلية وصدرِ الإسلامِ لم يكونوا يعبّرون عمَّا

---

[8] مسعود الخلف، "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية"، *دورية عمران للدراسات الاجتماعية* 41/11 (2022)، 107.

[9] أحمد وصفي زكريا، *عشائر الشام* (دمشق: دار الفكر، 1983)، 20/1.

[10] أبو الفتح ابن جني، *الخصائص*، تح: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1952)، 33/1.

[11] أنيس فريحة، *اللهجات وأسلوب دراستها* (بيروت: دار الجيل، 1989)، 36.

[12] إبراهيم السَّامرائي، *في اللَّهجات العربيَّة القديمة* (بيروت: دار الحداثة، 1994)، المقدمة.

[13] محمد رياض كريم، *المقتضب في لهجات العرب*، 1996، 57.

[14] ابن منظور، *لسان العرب*، 372/4.

نسمّيه نحن "اللُّغة" إلَّا بكلِمة "اللِّسان"، تلك الكلِمة المشتركة اللَّفظ والمعنى في معظَم اللُّغاتِ السَّاميَّة شقيقاتِ اللُّغةِ العربيَّة، وقد يُستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم مِن استعمال كلمة "اللِّسان" وحدها في معنى اللُّغة نحو 8 مرَّات".[15]

وهنا نستخلص إلى أنَّ اللُّغة هي مجموعَة من اللَّهجات بالاصطلاح الحديث. واللسان هو اللغة بالاصطلاح القديم. فأصحاب المعاجِم كانوا كثيرًا ما يشيرون إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هُذيل، وهم يقصدون لهجات هذه القبائل.

1.1. صفات اللهجات

البيئة اللَّهجية والصِّفات الخاصَّة بها، نجدها في الغالب تختلف عن بعضها في الأصوات، فصورة الكلمة المنطوقة تختلف من بيئة إلى أخرى. فمما روي عن تميم أنهم كانوا يقولون: فُزدُ، في (فُزتُ). وروي عن بني سعد أنهم كانوا يقولون: (الأجله) بدل (الأجلح) الذي هو الأصلع. وقد تتعدد هذه الصفات أحياناً لتشمل المعنى الدلاليّ أو البنية الصرفية للكلمة، إذ يقول الحجازيون: (الهِجْرس) وهم يقصدون القرد، أما تميم فيقصدون به (الثَّعلب). وفي كلمة أخرى فإن تميماً كانوا ينطقون "مديون" بدلًا مِن "مدين"، بينما ينطق بنو أسد "سَكرانة" بدلًا مِن "سَكرى".[16]

أما في اللهجات الحديثة فإن التغيّر الدلالي والصرفي يظهر جلياً في كثير من الألفاظ، منها كلمة "سُفرة" التي كانت تُطلق على طعام المُسافر، أما في اللهجات الحديثة أصبحت تدل على "المائدة" التي يؤكل عليها. وفي الجانب الصرفي كاشتقاق ألفاظ من أسماء عربية أو أعجمية لم يشتق منها العرب من قبل، كاشتقاق أسماء الأعيان من الذهب "مُذَهَّب"، وقيل: "ذَهَّبهُ" أي "مَوَّهه بالذَّهب"[17]، وكذلك مفضفض من الفضة، ومكهرب من الكهرباء.[18]

إنَّ اللَّهجات تمتلك صِفات صوتيَّةً خاصَّةً بها، تميزها عن غيرها، أو ربَّما تكون هذه الصفات الصوتيَّة ضمن اللَّهجة الواحِدة. نجد أنَّ الصِّفات الصَّوتية للهجات تستند إلى خمسة تباينات وهو ما سنلحظه وفق ما يلي:

- اختلاف المخرَج الصَّوتي في بعض الأصوات، كالفرق بين الجيم العربية والجيم القاهرية.
- الاختلاف في أعضاء النُّطق، كترقيق حرف عند قبيلة وتفخيمه لدى قبيلة أخرى.
- الاختلاف في مقاييس بعض أصوات اللِّين، وهي التي تسمى بأصوات المد عند القدماء فإن أي انحراف فيها يؤدي إلى اختلاف النطق بين الناطقين بها.
- تباين النَّغمة الموسيقية للكلام، فلكل بيئة لها نغمتها الخاصة في النطق. فالنَّغمة مقتصِرة على النَّطق وطريقَة إظهار الصوت. ثمَّ إنَّه يمكِن لنا من خلال النَّغمة الموسيقيَّة للكلام؛ أي: من خلال النبر والتنغيم أن نعبِّر عن مدلول الجملة، وليس عن طبيعة الأصوات، وبالتالي فإنَّ هذه الآلية، كما نعتقد، مُشتركة بين كثيرٍ من اللَّهجات إن لم يكن كلِّها.
- اختلاف التفاعل بين الأصوات المتجاوِرَة، وبالأخص حين تتأثر ببعضها، وهو كقلب بعض الحركات إلى حروف مجانسة لتلك الحركات فيقولون: "ايتصل" في "اتصل".[19]

هذه الصفات اللغوية التي تميز اللهجات عن بعضها في مستويات اللغة الأساسية الصرفية والتركيبية والدلالية إلى جانب المستوى الأهم الذي يميز اللهجات وهو المستوى الصوتي؛ تظهر في مساحات جغرافية واسعة ومتباعدة ضمن اللغة الواحدة، كما أنها قد تظهر في

---

[15] أنيس، *في اللهجات العربية*، 17.

[16] أنيس، *في اللهجات العربية*، 17.

[17] إبراهيم أنيس - وآخرون، *المعجم الوسيط* (القاهرة: مجمع اللغة العربية القاهرة، 2004)، 317.

[18] أنجب غلام نبي، "اللهجات العربية المعاصرة والتأصيل اللغوى"، *جامعة القاهرة - مركز اللغات الاجنبية والترجمة التخصصية* 46 (2014)، 94.

[19] هلال، *اللهجات العربية نشأة وتطوراً*، 35.

مساحات جغرافية متقاربة وأضيق، كاختلاف بعض الخصائص الصوتية فيما بين القرى القريبة المتجاورة، بحيث تتميز كل قرية بلهجة خاصة مختلفة عن غيرها.[20]

1.2. تكوّن اللهجات

على اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، فإنها تتأثر بكل ما يحيط بها من ظروف مختلفة سياسية واقتصادية وحضارية وجغرافية، وبتأثير كل هذه الظروف فإننا نصلُ إلى لهجات عديدة. وفي الحديث عن تكون اللهجات نجدها تتشكَّل بالعودة إلى عاملين رئيسيين هما: الانعزال البشري، والصراع اللغوي. وكل واحد منهما ينقسم بدوره إلى عاملين اثنين، كالتالي:

أما بالنسبة للعامل الأول وهو عامل الانعزال فإنه ينقسم إلى عامل جغرافي وعامل اجتماعي. فاللغات لاتتفرع إلى لهجات إلا إذا اتَّسعت رقعتُها وفُصِلَ بين أجزاء أراضيها. فالطبيعة الجغرافية التي يعيش عليها الناس مختلفة عن بعضها، ففيها الجبال والسهول، والأراضي الزراعية والقِفار، والوديان والأنهار. فكلما توسَّعت البيئة الجغرافية تفرَّعت اللُّغة إلى لهجات. أما إذا كانت الرقعة الجغرافية ضيقة وكانت بيئتها منعزلة فتبقى على شكل واحد ذات لهجة واحدة ولا تتشعب إلى صفات متباينة.[21]

أما بالنسبة للعامل الاجتماعي، فلا شك أن لكل قوم قوانينه وعاداته في معيشته وتفكيره، فهناك فروق في النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد لسكان المناطق المختلفة. من الطبيعي أن تنعكس هذه الأمور على اللغة. فالمجتمع الواحد قد يوجد فيه طبقات مختلفة من حيث المهن والجوانب الحياتية، إذ يوجد السياسيون والحقوقيون وأرباب المجالات الأكاديمية إلى جانب الصناعيين والزراعيين والتجار وغيرهم من أصحاب المسالك الأخرى. وعلى هذا فتختلف لغات المجتمعات باختلاف هذه المهن والعوامل. فهذا أمر واقع في جميع اللغات ولا يختص باللغة العربية فحسب، والمجتمع بطبقاته المختلفة يحتوي على لهجات مختلفة تناسب طبقاته.[22] فالانعزال الجغرافي والاجتماعي عاملان مهمان في تشعب اللغة الواحدة إلى لهجات عدة، كاللهجات العربية القديمة التي كانت متفرعة في جزيرة العرب قديماً، واللهجات العربية الحديثة في عصرنا الحالي التي نراها متشعبة بسبب الانعزال الجغرافي واختلاف البيئات الاجتماعية.

والصراع اللغوي الذي يمثل العامل الثاني في نشوء اللهجات فإنه مرتبط بحياة الإنسان وطبيعته المدنية، فهو بطبعه يحتاج للآخرين ويتواصل معهم لاستدامة حياته وتبادل احتياجاته. وهذا الاتصال بين بني البشر قد يكون بأوجه متعددة، ربما تكون سِلميّة أو عنيفة، كالاتصال عن طريق الهجرة أو الحرب. فقد يقوم شعبٌ بغزو شعب آخر يتكلمون لغةً مختلفة، مما يتسبب بصراع عنيف بين لغاتهم، وبالتالي يحصل أحد أمرين: إما أن تكون الغلبة للغة الغازين فتأخذ الصدارة لصبح اللغة الرسمية في البلاد، أو تكون الغلبة للغة المغزوّين فتصبح لغتهم اللغة الرسمية بفضل تقدمهم في الحضارة أو بسبب قلة أفراد الجماعة العسكرية الغازية. وفي كلا الحالتين فإن التغيير سيحصل في اللغتين سواء انتصرت الأولى أم انتصرت الثانية. ويمكن ذكر بعض الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي، فعندما غزا النورمانديون إنجلترا في القرن الحادي عشر تغلبت الإنجليزية على لغة الغزاة، وتركت النورماندية الفرنسية آثاراً ضئيلة في اللغة الإنجليزية وذلك بسبب قلة أعداد الجيش النورماندي.[23]

---

[20] جوزيف فندريس، *اللغة*، ترجمة عبد الحميد الدواخلي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)، 310.

[21] أنيس، *في اللهجات العربية*، 22.

[22] هلال، *اللهجات العربية نشأة وتطوراً*، 41؛ أنيس، *في اللهجات العربية*، 22.

[23] أنيس، *في اللهجات العربية*، 24؛ فريحة، *اللهجات وأسلوب دراستها*، 89.

والهجرة تحدث في انتشار أفراد شعب في مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم دون غزو ولكن في طلب العيش، وتتكون من سلالتهم بهذه المناطق أمم كثيرة. في هذه المناطق الجديدة يحتاج الإنسان إلى معرفة لغات الآخرين حتى يتمكن من التفاهم وتوثيق الصلات. يتسع بذلك مدى انتشار لغتهم، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ويكثر أفرادها.[24] لو اعتبرنا أن لهجة قريش هي عين العربية الفصحى، نرى أن الذي يقودنا إلى هذا التفكير هي مكانة مكة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي هيأت الظروف أمام القبائل لتشد إليها الرحال وبالتالي تأسيس كثير من صفاتها على لهجة مكة. وهذا ما يمكن أن نعده نوعاً من أنواع الهجرة.[25]

هذه العوامل تؤدي إلى ظهور اللهجات العامية إلى جانب الفصحى التي هي لغة الأدب، وهذه اللهجات وإن تناولها النحاة في نظم قواعدهم والإشارة إلى فصاحتها والاحتجاج بها أحياناً إلا أن اللغة الفصحى تبقى هي اللغة النموذجية التي تحتوي على قواعد ثابتة لكل من أراد الفصاحة والأدب. أما لهجات البدو على صحتها وخلوها من اللحن تبقى خشنةً وغير مهذبةٍ. وهكذا فإن اللغة الفصحى هي اللغة المشتركة التي كانت وما زالت تمثل الجانب الأدبي والثقافي للغة العربية، حتى إن الشعراء والخطباء في جاهليتهم كانوا يستخدمون لهجاتهم الخاصة في مضارب قبائلهم، أما عندما ترتبط الأمور بكتابة القصائد الشعرية أو النصوص النثرية كان الاعتماد على تلك اللغة الفصحى المشتركة المتمثلة بلهجة قريش.[26]

2. الظواهر الصوتية المختلفة بين اللهجات

تتميز كل بيئة لهجية بصفات صوتية تختلف عن غيرها من لهجات اللغة الواحدة اختلافاً كلياً أو جزئياً، وهذه الصفات كما كانت من مقاييس اللهجات ببدويتها أو حضريتها فإنها تستمر في عصرنا الحالي في التفريق بين السمات المميزة للهجات البدوية أو الحضرية. وهذه الصفات الواضحة بين البيئات عل اختلاف لهجات العرب منها ما يتعلق بأصوات اللين القصيرة أو الطويلة، ومنها ما يتعلق بالصوامت. وقد تختلف الصفات المتعلقة بالصوائت في فتح أصوات اللين أو إمالتها كما في (قضى) و (رمى) فبعض القبائل تفتح وبعضها تُميل، وفي الهمز بتحقيقه أو تليينه نحو (مستهزِؤون) و (مُستهزُؤن)، أما الصوامت فغالباً ما تكون الاختلافات فيها بإبدال حرف مكان حرف آخر نحو (أولئك) و (أولالك).[27] وأول ظاهرة سنتناولها هي ظاهرة الفتح والإمالة.

2.1. الفتح والإمالة:

الإمالة: كما جاء في لسان العرب العدول على الشيء والإقبال عليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلاً ومَمالاً.[28]

أمّا في الاصطلاح فقد عرفت الإمالة بأنّها تقريب الألف من الياء وتقريب الفتحة من الكسرة. والغرض من الإمالة تناسب الأصوات وتقاربها.[29] أما الفتح فلا اختلاف فيه، يتحقق لفظ الألف فيه كما هو بدون إمالة أو عدول عن الأصل. وبحسب القدماء فإن الفتح والإمالة تدخل في موضوع الأصلية والفرعية، فابن خالويه يقول إن الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه.[30] أما ابن يعيش لا يعتبر الإمالة فرع عن الفتح.[31] وهما على اختلافها في الأصلية والفرعية إلا أنهما متفقان على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن.[32]

قُسِّمَت القبائل قديماً من حيث الفتح أو الإمالة بحسب الموقع الجغرافي في الجزيرة العربيَّة؛ فما كان غربيّا مال إلى الفتح، وما كان شرقيَّا و وسَطها مال إلى الإمالة. فمن القبائل الغربية التي لفظت بالفتح قريش وسعد بن بكر وثقيف وهوازن وكنانة، أما قبائل الشرق

---

[24] أنيس، *في اللهجات العربية*، 24.

[25] إبراهيم أنيس، *مستقبل اللغة العربية المشتركة* (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة الرسالة، 1960)، 8–9.

[26] يوهان فُك، *العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب*، ترجمة عبد الحليم النجار (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)، 143.

[27] أحمد ابن فارس، *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، 25.

[28] ابن منظور، *لسان العرب*، 636/11.

[29] بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطلائع للنشر، 2009)، 135/4.

[30] ابن خالويه، الحسين بن أحمد، *الحجة في القراءات السبع*، عبد العال سالم مكرم (بيروت: دار الشروق، 1979)، 66.

[31] ابن يعيش، موفق الدين بن علي، *شرح المفصل*، (القاهرة: المطبعة المنيرية، بدون تاريخ)، 54/9.

[32] عبده الراجحي، *اللهجات العربية في القراءات القرآنية* (طنطا: دار الصحابة للتراث، 2009)، 137.

والوسط التي لفظت بالإمالة في تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وتغلب.[33] وهذه الظاهرة الصوتية تعطي مثالاً واضحاً عن الاختلافات التي ظهرت في القراءات القرآنية التي تتناول الكثير من عناصر الأداء الصوتي بين لهجات البدو والحضر.

هذا التوزُّع الجغرافي يفسِّر سبب شيوع الإمالة في القراءات القرآنية من قبل من استوطن في البيئة العراقية، وخاصَّة لدى حمزة (إمام القراء في الكوفة)، والكسائي (ورث أمامة القراءات بالكوفة بعد حمزة)، وخلف، وكلُّ هؤلاء سكنوا الكوفة. والنقطة المهمة هي أن هؤلاء القرّاء قد تأثَّروا بطرق النُّطق والأداء من قبل القبائل التي سكنوا بين ظهرانيهم، وذلك إذا علِمنا أنَّ معظم هؤلاء القرَّاء مِن الموالي. وما سبب المغايرة بين القرّاء إلا وجود الصِّراع العلمي بين علماء الكوفة والبصرة؛ فالبصريون مالوا إلى الفتح مخالفة لأهل الكوفة التي غلَّبت الإمالة.[34]

وسبب هذا الاختلاف ليس مردُّه إلى وجود الاختلافات بين المدرستين فحسب، بل هو اختلاف التَّلقّي عن العلماء من جهة والبيئة التي نشأ فيها، وحصرُ السَّبب في ذلك الصِّراع العلمي فيه بعض الإسفاف بحقِّهم. وهذا لا ينكِر وجود هذا الصِّراع والتَّعصُّب للمدرسة التي ينتمي إليها أيٌّ منهم.

وفي استعراض أمثلة الإمالة نرى المحدثين يقسمونها إلى قسمين وهي: "صوت لين خالص"، و "تغير في مقياس هذا الصوت". وهنا نرى أن القسم الثاني هو تطور للقسم الأول. ونلاحظ أنه كما تكون إمالة الفتحة إلى الكسرة فإن هناك إمالة الفتحة إلى الضمة والألف إلى الواو.[35]

لقد أورد ابن جني هذين النوعين في كتابه سر صناعة الإعراب، وهما:

- الكسرة الممزوجة بالضمة، وهي التي تكون في صيغ المبني للمجهول وعبر عنها القدماء بالإشمام كما في: (قُيل، بُيع، سُيق).
- الضمة الممزوجة بالكسرة، كإمالة (بِوع) نحو الكسرة. وهذه أقل اللهجات استخداماً.[36]

في ظاهرة الإمالة نجد تشابهاً بين لهجات العرب قديماً واللهجة السورية الحديثة بفرعيها "لهجة الريف ولهجة المدينة" من حيث التوزع الجغرافي، إذ ينطق سكان الريف بالفتح، أما سكان المدينة فإننا نرى الإمالة في كلامهم. نسمع في كلام أهل الريف الذين يتسمون بالطابع البدوي والعشائري النطق السليم في ألف المد، نحو كلمة (كَاتِب) التي تُلفظ عندهم بالفتح الواضح دون إمالة. أما في كلام أهل المدينة الذين يتسمون بالطابع الحضري فنسمعها لدى أغلبهم على شكل (كِيتِب) بإمالة الإلف نحو الياء. وكذلك في (قَاعد، سَاكن، جَارح ..إلخ) فتلفظ عند الحضر (قِيْعِد، سِيْكِن، جِيْرِح).

أما إذا كانت الكلمة بالفتح وليس بأحد حروف المد، كالواو المسبوقة بالفتح، عندها تُمال الفتحة التي قبل الواو إلى (o)، نحو: (شَوط، فَوق، نَوع، يَوم ..إلخ)، فتلفظ عند أهل الريف والمدينة على حد سواء (شُوْط، فُوْق، نُوْع، يُوم). ومثلها الياء المسبوقة بالفتح، كما في: (شَيء، بَيت، زَيت ..إلخ)، إذ تُمال الفتحة التي قبل الياء إلى (e) فتصبح (شِيء، بِيت، زِيت).

وفي كلا الحالتين الإمالة واحدة سواء كانت في الفتحة أو في ألف المد، لأن عملية الإمالة واحدة في الحالتين.

وهذه الظاهرة التي تُعرف بالصائت المركب (Diphthong)، يُحَوِّل فيها المتكلم الصائتين المتتابعين إلى إمالة، عن طريق تحويل الفتحة التي تسبق الواو أو الياء إلى إمالة كما في الأمثلة السابقة. وهذا نوع من أنواع الانسجام الصوتي والهدف منه السهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي.[37]

---

[33] أنيس، *في اللهجات العربية*، 60.

[34] أنيس، *في اللهجات العربية*، 62–63.

[35] أنيس، *في اللهجات العربية*، 66.

[36] أبو الفتح ابن جني، *سر صناعة الإعراب*، حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، 1993)، 52–53.

[37] أنيس، *في اللهجات العربية*، 57–58؛ الراجحي، *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*، 136.

وفي إمالة الفتح إلى الضم فإن التقسيم الجغرافي ظاهر من حيث تناول اللسانيين المحدثين للمادة. ولو كنَّا أمام روايتين لكلمة واحِدة وفي الموضع نفسه؛ الأولى بالضَّم، والثَّانية بالكسر فإنَّنا نرجِّح أن يكون منشأ الأولى بدويًّا، والثانية حَضريًّا، كما نرجِّح أن كلتا الروايتين استُعمِلتا في زمنٍ واحِدٍ، ولكن في بيئتين مختلِفَتين، وتعليل ذلك عند اللسانيين المحدثين هو أنَّ "القبائل البدويّة مالت بوجه عامٍ إلى مقياس اللِّين الخلفي المُسمَّى الضَّمَّة، لأنَّه مَظهَرٌ من مظاهِر الخُشونة البدويّة. فحيث كسَرت القبائلُ المتحضرة وجدنا القبائلَ البدويّة تضُمُّ. والكَسرُ والضَّمُ مِن الناحية الصوتية متشابِهان، لأنَّهما من أصوات اللين الضَّيِّقة".[38]

فمن الروايات التي ذُكرت في هذا الموضع هي ظاهرة بالمعاقبة. والمعاقبة هي أن تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة.[39] وهي أن الحجازيين يقولون: "صيَّام" في "صوَّام"، وكذا في مثل: "تيَّام، صيَّاغ، قيَّاد" ينطقون الواو فيها ياءً. ويفسِّر هذه الظَّاهرة بأن الواو امتداد للضَّمِّ، وكذا الياء امتداد للكسر. أما في لهجات القبائل البدوية نراهم قد آثروا الضَّم في كثير من الصيغ، نحو: "حوث، اللذون، عليهُم، إليهُم"، في "حيث، الذين، عليهِم، إليهِم".[40]

وهذه الظاهرة قد نلحظها في اللهجات السورية الحديثة، وخاصة في اللهجة البدوية من مناطق مختلفة. فنسمع يميلون ألف المد إلى الواو في لهجتهم، فيقولون مثلاً عند السؤال لأحدهم ماذا يريد أن يأكل: (إيش تُؤكِل). وكذلك في إمالة (تأخُذ) إلى (تُوخِذ). فهذه الإمالة سواء كانت بين الفتح أو الضم، أو بين الألف والواو فلا فرق بينهما، والمقصود هو بيان هذا النوع من الإمالة بأنه من أوجه التشابه بين القديم والحديث. وعليه فإن النَّطق بالضَّمَّة أثقل من النُّطقِ بالكسر، وهذا يتناسب مع طبيعة البدوي؛ فالضَّمة صِفة من صفات الخشونة تتناسب مع طبيعة البدويّ، كما الكسر صِفة من صفات الرِّقَّة واللِّين، وهذا ما يتناسب مع البيئة الحضريّة.[41] وكذلك في اللهجة السورية الحديثة نرى هذه الظاهرة عند البيئة الريفية دون البيئة المدنية.

ومن هنا نرى أن الإمالة أربعة أشهر أنواعها إمالة الفتح إلى الكسرة، وهذا النوع هو المقصود بالإمالة حين تذكر في كتب اللغة والقراءات.[42] وهي كما يلي:

- إمالة الألف إلى الياء أي تقريب الفتحة من الكسرة، كما في (كَاتِب / كِيتِب).
- إمالة الألف إلى الواو أي تقريب الفتحة من الضمة، كما في (شَوط / شُوْط).
- إمالة الكسرة إلى الضمة.
- إمالة الضمة إلى الكسرة.

إذاً فالنوع الأول هو الأكثر تفشياً في اللهجات القديمة والحديثة، يليه النوع الثاني الذي كان مهملاً في اللهجات القديمة، ونَشَط في اللهجات الحديثة عامةً واللهجة السورية خاصة. أما النوعان الآخران من الإمالة التي رواهما ابن جني كانتا قليلة الشيوع ونادرة الاستخدام قديماً وتكاد لا ترى لها الأثر حديثاً.

2.2. الهمز تحقيقه وتسهيله

الهمز هو النبر، وهو ما التزمت به العربية الفصحى في الشعر القديم ثم في لغة التنزيل.[43] وهي من الأصوات الأساسية الشائعة في اللغات الساميَّة أكثر من بقية الفصائل اللغوية، وهي مع شيوعها من أكثر الأصوات الساكنة المؤاتية للتغيير بالتخفيف والحذف والإبدال

[38] أنيس، *في اللهجات العربية*، 81.
[39] هلال، *اللهجات العربية نشأةً وتطوراً*، 238.
[40] أنيس، *في اللهجات العربية*، 85.
[41] أنيس، *في اللهجات العربية*، 86.
[42] أنيس، *في اللهجات العربية*، 58.
[43] السَّامرائي، *في اللَّهجات العربيَّة القديمة*، 64.

والإدغام.[44] لأنها صوت ثقيل في النطق ويتطلب جهداً عضلياً زائداً عن بقية الأصوات، ولأجل هذا لجأ متكلمو العربية على مر العصور إلى الاقتصاد والتيسير في نطق الهمزة، وهو ما ذكره سيبويه حين ذكرها: "إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف".[45] والهمزة عند القدماء صوت مجهور شديد من أقصى الحلق، وفي العصر الحديث يرجح العلماء بأنها صوت لا بالمجهور ولا بالمهموس.[46]

في موضوع الهمز أيضا نرى الفرق الواضح بين العرب في نطقها، فمنهم من يحققها ومنهم من يسهلها ويبدلها بحرف من جنس حركة ماقبلها أو تقريبها منها أو حذفها.[47] وفي المقاربة بين لهجات البدو والحضر قديماً نجد أنَّ لهجات الحِجاز استطاعت أن تتخلَّص من الهمزة، بفعل عدَّة عوامل مرتبطة بما قبلها أو بعدها وفقاً للانسجام الصوتي. ومن أمثلة عدم تحقيق الهمز ما ورد عن قُرَّاء البيئة الحجازية كأبي جعفر ونافع، فسُمِع عنهم:

- قلبُ الهمزة إلى حرفِ مدٍّ مناسِب لحركة الهمزة، (يؤمنون/يومنون، بِئس/بِيس، فأذنوا/ فاذنوا).
- قلبُ الهمزة واوًا، (يؤاخذ/يواخذ، الفؤاد/الفواد).
- قلبُ الهمزة ياءً، (خاسِئاً/خاسياً).
- حذفُ الهمزةِ وضَمّ ما قَبلها لتناسِب الواو، (مستهزئون/مستهزون).[48]

إذاً فأهل الحجاز من مكة والمدينة لا ينبرون، أما بالنسبة لتميم فإنها تحقق الهمز وهي صفة اشتهرت بها، وقد قال عنهم العالم النحوي عيسى بن عمر الثقفي: "لا آخذ من قول تميم إلا النبر" أي تحقيق الهمز.[49] وهذه الصفة لدى تميم هي من أوضح الصفات وأجودها التي دخلت اللغة العربية الفصحى وشكلت حيزاً في اللغة الأدبية والنموذجية، لغة القرآن والشعر. أما بقية الصفات من إدغام وإمالة فهي أقل مرتبة في الفصاحة. أما الحجازيون فإنهم يسهلون الهمز في لغتهم المحكية لكنهم مع ذلك التزموها وحققوها في لغتهم المكتوبة والأدبية.[50]

ويبقى السؤال أن كيف يمكن للبيئة الحجازية أن تتخلص من تحقيق الهمزة وهي المعروف عنها بأنها لغة الأدب والفصاحة؟ وكيف يحققها سكان وسط الجزيرة وشرقيها مَن عُرِفَ عنه التسهيل في أغلب الظواهر الصوتية من إدغام وإمالة؟

والجواب أن الهمزة من أصعب الأصوات نطقاً وأكثرها تعرضاً للتغيير، فهي تُعامَل معاملةً خاصةً لأنها صوتٌ غير واضحٍ من جهة الجهر والهمس، وهي الأكثر شدة بين الصوامت، فنطقها صعب وشاق وتتطلب جهداً كبيراً أثناء الكلام. لذا مال أغلب الحجازيين إلى تسهيلها.[51]

أما في اللهجات السورية الحديثة فإن الهمزة مائلة إلى التسهيل سواء بالإبدال أو التخفيف أو القلب أو الحذف. فعندما تم الحديث عن السهولة والاقتصاد في الكلام فإن اللهجات العربية في العصر الحديث أكثر التزاماً بهذه النظرية من العصر القديم. ومع تجاور الأقوام مع بعضها أكثر في العصر الحديث نتيجة العوامل الاجتماعية والدينية والتجارية؛ أصبحت اللهجات العربية الحديثة في تأثُّرٍ وتأثيرٍ مع بقية اللغات المجاورة وعرضة للتبادل والاقتراض اللغوي وبالتالي أكثر ميولاً للاقتصاد في الكلام. فاللهجة السورية الحديثة بكل أقسامها الشرقية والغربية فإنها تميل إلى تسهيل الهمزة.

---

[44] إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1999)، 77.

[45] عمرو بن عثمان سيبويه، *الكتاب*، عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1982)، 446/4.

[46] الراجحي، *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*، 95.

[47] هلال، *اللهجات العربية نشأةً وتطوراً*، 210.

[48] أنيس، *في اللهجات العربية*، 70.

[49] رمضان عبد التواب، *بحوث ومقالات في اللغة* (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1982)، 274.

[50] أنيس، *في اللهجات العربية*، 69.

[51] أنيس، *في اللهجات العربية*، 68.

هذه الهمزة غير المحققة في اللهجات السورية قد تظهر في كل مواضع الهمز، لكنَّها في أول الكلمة بنسبة أقل منها في وسطها أو في آخرها.

ففي أول الكلمة، في الفعل الماضي (أَخَذَ / أَكَلَ): تحقق الهمزة في لهجات الحضر، فتُلفَظ: (أَخَدْ / أَكَلْ) بتحقيق الهمزة مع تسكين آخر الفعل. أما في لهجات البدو فتُحذَف الهمزة ويُعَوَّض عنها بألف في آخر الفعل، فتُلفَظ: (خَذَا / كَلَا أو جَلَا). وفي الفعل المضارع (أُرِيدُ / أَشرَبُ): تُحَقق في اللهجة البدوية إذا جاءت في أول الكلام بالفتح (أَريد / أَشرَب)، وتُحذَفُ إذا سُبِقَت بـ (ما) النافية (ما رِيْد / مَشرَب). أما في لهجات الحضر فإنها تُقلَبُ بَاءً، (بَرِيد / بَشرَب) مع تسكين آخر الفعل.

في وسط الكلمة، فإن الهمزة لا تبقى على حالها، بل تتغير بأوجه متعددة كالتسهيل والحذف، حيث تكون في الأسماءِ والأفعالِ. كما في الفعل الماضي (طَمأَنَ): تُحذَف الهمزة في كلا اللهجتين، فتُلفَظ: (طَمَّنَ). وفي الفعل المضارع (يَأْكُل / يَأخُذ): فإن الهمزة تُخَفَّف في كلا اللهجتين، فتُلفَظ: (يَاخُذ، يَاخُد / يَاكُل).

أما في الأسماء فإنها تُقلَب إلى حرف مد يناسب حركة الحرف الذي يسبقها، (رَأس / بِئر / لُؤم): فتُلفَظ: (رَاس / بِير / لُوم).

في آخر الكلمة، فإنها تقعُ في الأفعال والأسماء، فتُخفَّف بالتسهيل بما يُناسب حركة الحرف الذي يسبقها، أو بالحذف. كما في آخر الأفعال (عَبَّأَ / مَلَأَ / بَدَأَ): تُخَفَّف الهمزة فتُلفَظ: (عَبَّا / مَلَا / بَدَا). وفي مضارعها: (يِعَبِّي / يِملِي / يِبْدَا). أما الهمزة في الفعل الماضي (جَاءَ): فإنها تُحذَف في لهجة الريف فتُلفَظ: (جَا)، وتُقلَب في لهجة المدينة إلى أول الكلمة فتُلفَظ: (أجَا).

أما في آخر الأسماء، فإنها تُحذَف من نهاية الأسماء الممدودة المنتهية بهمزة التأنيث، كما في (حَمرَاء / خَضرَاء)، فتُلفَظ: (حَمرَا / خَضرَا). وكذلك تُحذَف من نهاية الاسم الممدود المنتهي بهمزة منقلبة عن واو أو ياء، كما في (سَمَاء / عِشَاء)، فتُلفَظ: (سَمَا، / عِشَا). أو تُقلَبُ يَاءً كما في (دَافِئ)، فتُلفَظ: (دَافِي).[52]

2.3. الإبدال اللغوي

الإبدال لغةً: بدَلُ الشيءِ: غَيرُهُ، وبَدَّل الشيء: غَيَّرَهُ، وحرَّفهُ، "وأبدلتُ كذا من كذا إذا أقمته مقامه".[53]

اصطلاحاً: "إبدالُ الحروف وإقامةُ بعضها مقام بعضٍ".[54] والإبدال اللغوي أوسع أنواع الإبدال، فهو لا يقتصر على إبدال حروف العلة فحسب، بل يكون في بقية الحروف أيضاً مع مناسبة اللفظ والمعنى.[55]

الإبدالُ مثل بقية الظواهر الصوتية صفة بارزة من الصفات الفارقة بين اللَّهجات العربية من العصور القديمة حتى وقتنا الحاضر. وقد استدلَّ اللغويون في مقاييسِ الفصاحةِ بمواضعَ عديدةٍ منها للتفريق ما بين لهجات البدو والحضر، ومنها إبدال بعض الأصوات اللغوية بأصوات أخرى، وهذه الأصوات تميَّزت بها كل قبيلة حتى صارت الظاهرة تُعرف باسم القبيلة ولهجتها. هذه الظاهرة تحديداً نادراً ما تظهر في لهجة البيئة الحجازية والمعروف عنها أنها اللغة الأدبية النموذجية التي هي لغة القرآن والشعر. إذ اجتمعت القبائل في لغة أدبية واحدة - وهي لغة قريش- في أشعارِها وخُطَبِها تاركين خلفهم ما تحتويه لهجاتهم من صفات العجعجة أو العنعنة أو الكشكشة، لكي يكونوا مَوضِع فخر بين الفصحاء والبلغاء.[56] فالمكانة السياسية والاجتماعية لقريش في البيئة الحجازية والتي نَزَلَ القرآنُ في أغلبه بِلُغَتِها؛ تُعَدُّ الأفصح بين اللهجات العربية، إذ كانت العرب تَفِدُ إلى مكة للحج في الجاهلية، وكانت قريش تسمع لغات هؤلاء فتأخذ ما تستحسنه منهم وتترك الغريب المُنفِر، وهكذا صاروا أفصح العرب وخلتْ لغتُهُم من مُستَبشع اللَّهجات ومُستَقبح الألفاظ.[57]

---

[52] الخلف، "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية"، 112.

[53] ابن منظور، *لسان العرب*، 48–49.

[54] ابن فارس، *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، 154.

[55] إميل بديع يعقوب، *موسوعة علوم اللغة العربية* (بيروت: دار الكتب العلمية، 2006)، 85/1.

[56] أنيس، *في اللهجات العربية*، 34.

[57] جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، محمد جاد المولى بك (بيروت: المكتبة العصرية، 1986)، 210/1.

ظاهرة الإبدال سمةٌ بارزة من سمات اللَّهجات العاميَّةِ في العصر الحديث، إذ لا تكاد تخلو لهجة عامية في العالم العربي من هذه الظاهرة الباقية منذ القديم. وكما أسلفنا الذكر في الحديث عن الإمالة والهمز في الاقتصاد من الجهد العضلي أثناء الكلام، فالإبدالُ أيضاً من المواضع التي يتجَنّبُ الإنسانُ فيها الصعوبة والثقل في الكلام. وتتحقق هذه الظاهرة استناداً لظواهر فونولوجية متعددة ميَّزت بين بدويَّة اللهجاتِ أو حَضريَّتها؛ منها شدّة الأصوات أو رخاوتها، جهرُ الأصوات أو همسها، التأثر بالأصوات المتجاورة، تفخيم الأصوات أو ترقيقها. وفيما يلي سنقف عند كل ظاهرة على حدة.

2.3.1. الإبدال بين الأصوات الشديدة والرخوة

الشِدّة هي القوة، وسُمِّيَت شديدة لمنعها الصوت أن يجري معها عند النطق بها لقوتها في مخارجها، فينحَبِسُ النَّفَسُ في نقطة معينة من حيث المخرج. وهي بحسب اللغويين القدامى ثمانية أحرف (ء ج د ك ط ب ق ت)، يجمعها قولك: "أجدك طبقت".[58] أما بحسب التجارب الحديثة فإن الأصوات الشديدة في اللغة العربية هي (ب ت د ط ض ك ق والجيم القاهرية).[59] الرخاوة: اللين، وسُمِّيَت رخوة لجريان الصوت معها وضعف الاعتماد عليها عند النطق بها فَلَانَتْ. ولا ينحبس الهواء بشكل مطلق عند النطق بها. والحروف الرَّخوة عند القدماء هي: (ث ح خ ذ ز س ش ص ض ظ غ ف ه).[60] أما عند المحدثين فهي: (س ز ص ش ذ ث ظ ف ه ح خ ع).[61]

في الحديث عن البيئتين الحَضريَّة والبدويَّة نجد بأن القبائل البدويَّة مالت إلى الأصوات الشديدة، والحضريَّة إلى الأصوات الرخوة في نطقها. وهناك روايات متعدَّدة حول هذه الظَّاهرة تؤيِّد هذا القول، وهذه الظَّاهرة هي ذاتها الإبدال، ومن بعض شواهدِها ذلك ما ذكره ابن منظور:

- "الخبيت" لغةٌ في "الخبيث"، إبدال الثاء تاءً أي إبدال الرخو بالشديد، وهي لغة خيبر المتأثرة بالبيئة الحجازية. ومنه ما ورد في بيت للسموأل:

  يَنفَعُ الطيِّب القليل مِن الرِّز قِ ولا يَنفعَ الكثير **الخبيت**[62]

- و"اللِّصتُ" لغةٌ في "اللِّصُّ،[63] والطِّسْتُ" لغةٌ في "الطِّسِّ" وهي الآنية؛[64] وهي لغة طيء المتوغلة في البداوة، فتبدل أصوات الصاد والسين الرخوتين بالتاء الشديدة.

- و"اللَّاتب" لغةٌ في "اللَّازب" وهو الثابتُ المشدود، فقالوا: طينٌ لاتِبٌ ولازِبٌ.[65] وهي منسوبةٌ لقيس المتأثرة بتميم، فنطقوا بالتاء أحياناً وبالزاي أحياناً أخرى.[66]

أما في اللَّهجات السورية الحديثة نجد الإبدال بكثرة، ويظهر هذه الإبدال في لهجات المدينة أكثر من لهجات الريف. فأهل المدينة (الحضر) يستبدلون الرخو بالشديد، كما في: (ذَهَبْ / كذَّاب / كَتِير / تْخِين / ثَلاثة) فيقولون فيها بالترتيب: (دَهَبْ / كَدَّاب / كِتِير / تخِين / تَلاتة).

ومع الإبدال بين شديد الأصوات ورخوها نجد عندهم (أي سكَّان الحضر) إبدالٌ لم نعهدهُ في اللهجات العربية القديمة؛ فكما يتم الإبدال بين شديد ورخو فعندهم إبدال بين رخو ورخو أيضاً، كما في صوت الذال في الاسم الموصول (الذي) فيُنطَق في لهجة الحضر

---

[58] ابن جني، *سر صناعة الإعراب*، 61/1.
[59] أنيس، *الأصوات اللغوية*، 24.
[60] سيبويه، *الكتاب*، 434/4-435.
[61] أنيس، *الأصوات اللغوية*، 25.
[62] ابن منظور، *لسان العرب*، 28/2.
[63] ابن منظور، *لسان العرب*، 84/2.
[64] ابن منظور، *لسان العرب*، 58/2.
[65] ابن منظور، *لسان العرب*، 735/1.
[66] أنيس، *في اللهجات العربية*، 88–93.

تحديداً بالزاي (الزّي)، وكذلك في (إذا) الشرطية ينطقون (إزا). وهذا إبدال بين صوت رخو الذي هو (ذ) وبين صوت رخو آخر وهو (ز). وهو الحال نفسه بين "الثاء" و"السين" اللذين هما من الأصوات الرخوة، فيتم الإبدال بينهما في كثير من المواضع مثل: (مَثَلاً / ثُمَّ / مُثمِر / مَثَانة) فينطقونها على الترتيب: (مَسَلاً / سُمَّ / مُسمِر / مَسَانة).

أما هذا فلا نجده عند لهجة البدو، بل ينطقون هذه الأصوات اللثوية الأسنانية كما هي في العربية الفصحى. لكن قد نجد في لهجات البدو دون الحضر الإبدال بين أصوات الصفير المتقاربة في المخرج، كإبدالهم "السين" إلى "صاد" فيُسمَعُ عنهم: (وَصِخ / صَخَّرَ / صَلَخَ) في (وَسِخ / سَخَّرَ / سَلَخَ).[67] وهنا يُلاحَظُ ميل أهل الريف الذين يغلب عليهم الطبع البدوي إلى الأصوات المفخمة، بينما ينطقها أهل الحضر بالترقيق، وهذا يتناسب مع الحديث عن طبيعة البدوي والحضري في اللهجات العربية القديمة، فورد عنهم (الصِّراط / الصَّاق) في (السِّرَاط / السَّاق)، "يبدو أن القائلَ البدويَّة بوجه عام قد مالت إلى التفخيم، واشتهر هذا عندهم فاستمسكوا بهذه الظاهرة في نطقهم، أما القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر قد آثرت الأصوات المرققة". فالبدو قديماً مالوا إلى الأصوات الشديدة في نطقها، هذا يتناسب مع ما عُرِف عنهم من غلظة وجفاء، فيتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة. أما أهل المدن المتحضرة فيميلون إلى رخاوة تلك الأصوات لما فيها من التؤدة والليونة ما يتناسب مع بيئتهم وطبيعتهم.[68]

2.3.2. الإبدال بين الأصوات المجهورة والمهموسة

الجهر والهمس مصطلحان صوتيان مرتبطان بعملية النطق، وأول من أوردهما في اللغة العربية هو سيبويه. وفي علم اللغة الحديث فإن التجارب توافقت مع تصنيف سيبويه بنسبة كبيرة. فالجهر والهمس عملية عضوية تُعنى بفيزيولوجية أعضاء النطق؛ فأثناء اندفاع النَّفَس من الرئتين إلى الخارج يقوم الوتران الصوتيان بعملية ضغط أو انفراج؛ فإذا تضاغط الوتران سببا في توتر واهتزاز وعندئذٍ يُوصَف الصوتُ بأنه مجهور. أما إذا تباعد الوتران وفتحا مجالاً للنَّفَسِ بالخروج فعندها يوصف الصوت بالمهموس.[69] الأصوات المجهورة بحسب اللغويين القدامى هي: (ء ا ع غ ق ج ي ض ل ن ر ط د ز ظ ذ ب م و)، والمهموسة: (ه ح خ ك ش س ت ص ث ف).[70] أما عند المحدثين فالأصوات المجهورة هي: (ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن)، والمهموسة: (ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك ه).[71]

القبائل التي تعيش في بيئة صحراوية وتنتشر فيها الأصوات في مسافات شاسعة ولا يحول دونها حائل، تحتاج إلى توضيح الأصوات مثل الميل إلى الجهر ليصبح أكثر وضوحاً في أذن السامع. لهذا نلحظ أن لهجات القبائل البدوية مالت إلى جهر بعض الأصوات. وأهم ما يُذكَر في هذا الموضع هو الفحفحة والعنعنة.

فالعنعنة نسبت إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، وهي قلب همزة (أن) عيناً، فيقولون: أشهد عَنَّك رسولُ الله.[72] وكما في قول ذي الرّمة:

أعن ترسَّمت من خرقَاءَ منزلةً ماء الصّبابةِ من عينيكَ مسجومُ[73]

ففي اللهجات السورية الحديثة واللهجة الريفية البدوية تحديداً نجد أثراً لهذه الظاهرة الصوتية في بعض المناطق، فيبدلون الهمزة عيناً في: (يَئِنُّ / يَسأل / يجَأَّر)، فيقولون: (يَعِنْ / يِسْعَل / يِجْعَر).[74]

---

[67] الخلف، "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية"، 115.

[68] أنيس، *في اللهجات العربية*، 88–89.

[69] محمود فهمي حجازي، *مدخل إلى علم اللغة* (القاهرة: دار قباء، د.ت)، 50.

[70] سيبويه، *الكتاب*، 434/4.

[71] أنيس، *الأصوات اللغوية*، 21–22.

[72] كريم، *المقتضب في لهجات العرب*، 126.

[73] غيلان بن عقبة ذو الرمة، *ديوان ذي الرمة*، أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995)، 254.

[74] الخلف، "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية"، 114.

أما الفحفحة فقد سمى القدماء هذه الظاهرة الصوتية بفحفحة هذيل. وجاء في المُزهِر: "الفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاء عيناً".[75] ومما سُمِعَ عنهم: (اللعم الأعمر)، أي: (اللحم الأحمر). وروي عن هذيل في هذه الظاهرة كلمة (حتى) التي قيل إن ابن مسعود قرأها (عتى)، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش.[76]

يمكن القول إن العنعنة من الظواهر الصوتية القديمة التي شوهد آثارها في لهجات الريف السوري الحديث. أما الفحفحة فلم يُرى لها أثر في اللهجات السورية الحديثة.

2.3.3. الإبدال بين الأصوات المتجاورة

هذه الأصوات هي الأصوات المتقاربة في المخرج، وهي مجموعة لا بأس بها من الأصوات التي تنقسم على شكل مجموعات فرعية وتُصنَّف بحسب نقطة خروجها كالميم والباء، فكلا الصوتين شفويان. أما بقية الأصوات فهي الأصوات التي تكاد تنحصر بين أول اللِّسان وطرفيه والثنايا العليا وأصولها؛ وأفراد هذه المجموعة هي: (ذ ث ظ/ د ض ت ط/ ل ن ر/ ز س ص).[77]

هناك ظاهرتان في هذا الموضع نسبها الرواة لقبائل معينة، الظاهرة الأولى كما في قلب (الميم إلى باء) و (الباء إلى ميم) في لهجات بعض القبائل العربية. والروايات تنسب هذه الظاهرة إلى مازن من ربيعة وإلى بكر بن وائل. ومن أمثلة ذلك: (كمح = كبح)، (ثلبه = ثلمه). ورد عن هذه القبائل قلب الميم باءً أو الباءِ ميماً، ولكنها ليست قاعدة مطّردة وعادة كلامية دارجة في كل ميمٍ وباءٍ كبقية الظواهر الشائعة.[78] لكن يمكن القول بحسب البيئة البدوية أو الحضرية إن الباءَ صوت مجهور شديد يتناسب مع طبيعة البدوي وعاداته الكلامية، فيمكن أن يُرَجِّح الباءَ بدل الميم في بعض كلامه. أما الميمُ فهو صوت مجهور لكنه أقل درجة من شدة الباء، أي هو صوت متوسط لا شديد ولا رخو، ويُصنَّف بين الأصوات المائعة (Liquids).[79] وهكذا يمكن للحضري أن يميل إلى هذا الصوت ما يناسب طبيعته.

وفي اللَّهجات السورية الحديثة هناك إبدال بين الباء والميم في اللهجة الحضرية تحديداً، فمن قولهم في الدراجة الهوائية التي تُعرَف باللهجة العامية بـ (بِسكليت) وكذلك في (بِسكويت)، فيُبدلون الباء المجهورة الشديدة بالميم، فينطقون: (مِسكليت) و (مِسكويت). وهذه نقطة من نقاط التشابه بين اللهجات القديمة واللَّهجات السورية الحديثة من حيث البداة والحضارة.

والظاهرة الثانية التي توضح تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض هي ما سمّاه الرواة بالكشكشة. وهذه الظاهرة كما جاء في المزهر: "وهي في ربيعة ومضر، يجعلون كاف الخطاب في المؤنث شيناً، فيقولون: رأيتكش وبكش وعليكش، فمنهم من يثبتها في حال الوقف فقط وهو الأشهر، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف، فيقول: منش وعليش".[80] نرى أن السيوطي عزا ظاهرة الكشكشة إلى ربيعة ومضر، ولكن الروايات الأخرى تسندها إلى جانب أولئك إلى تميم وبكر بن وائل وأسد.[81] كما في قول الشاعر:

فعيناشِ عيناها وجِيدشِ جِيدُها ولكنَّ عَظْمَ السَّاقِ منشِ دقيقُ[82]

وهذه الظاهرة تتعلق بقانون أُصطُلِح عليه من قبل اللغويّين "قانون الأصوات الحَنَكيَّة"، وغاية ما يهمنا في هذا القانون هو أنَّ الكاف والجيم غير المعطَّشتين تميلان إلى نظائرِهما من الأصوات الأماميَّة عندما يأتي بعدها صائت قصير أمامي (الكسرة)، لأنَّ الصائت القصير حينها ينتقل شيئاً ما إلى الأمام فتنقلب إلى ما يشبهها من أصوات وَسَط الحَنك أو أصول الثَّنايا العليا. ولهذا وجدت بعض الكلمات الهندو-أوربيَّة التي كانت تشتمل على الكاف قد تكوَّرت فيها هذه الكاف فيما بعد إلى صوت وسَط الحنك الذي ينطق به كما ينطق الصوت

---

[75] السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، 222/1.
[76] أنيس، *في اللهجات العربية*، 94–100.
[77] أنيس، *الأصوات اللغوية*، 44.
[78] أنيس، *في اللهجات العربية*، 106.
[79] أنيس، *الأصوات اللغوية*، 25.
[80] السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، 221/1.
[81] الجندي، *اللهجات العربية في التراث*، 359/1.
[82] أنيس، *في اللهجات العربية*، 107.

(چ) (ch) في الإنجليزيّة و (ç) في التركية. وهذه الظاهرة نُسِبت إلى قبائل كثيرة، فوردت عن قبيلة مضر بشكل عام ومنها تميم وقيس وأسد، وإلى ربيعة عموماً شاملة بكراً وتغلباً. والكشكشة غالباً ما تكون في قلب كاف المؤنثة إلى (شين). كما في "فعيناش عيناها". لكن لوحظ الأمر أن هذه الظاهرة لا تقتصر فقط على كاف المؤنثة وقد تكون في مواضع أخرى، كما في: "لبَّيش اللهم لبَّيش".[83]

هذه الظاهرة موجودة في اللهجة السورية البدوية بشكل واضح وفي مناطق عديدة، إذ يبدلون كاف المؤنَّثة إلى صوت (چ) المشابه لصوت (ç) الذي في التركية. فيقولون في كاف المؤنثة: (بَيتُكِ/ كِتَابُكِ /ثَوبُكِ) في: (بيتِـچ / كْتَابِچْ / ثُوبِچْ)، وفي غير كاف المؤنثة: (كَانَ /كَلْب /كَذَّاب)، (چَان / چَلب / چَذَّاب). أما في لهجات الحضر في المدن السورية فلا أثر لهذه الظاهرة.[84]

2.3.4. الإبدال بين الأصوات المرققة والمفخمة

وفي هذه الصفة أيضاً نجد التباين بين القبائل البدوية والحضرية. فالقبائل البدوية مالت إلى أصوات التفخيم والقبائل الحضرية مالت إلى أصوات الترقيق. غالباً ما تظهر الصفات التي اختُلِف فيها في التفخيم أو الترقيق في أصوات الإطباق.

أصوات الإطباق التي هي "الصاد والضاد والطاء والظاء" كثير ما ترد مفخمة في لهجات البدو، وهو ما يلائم طباع البدو وخشونتهم. فأصوات الإطباق هذه تُبدَّل مع الأصوات القريبة منها في المخرج والصفة، حيث تنقلب إلى شكلها الرقيق، كالإبدال بين "الصاد" و "السين" أو بين "الطاء" و"التاء". وقد يكون في غير أصوات الإطباق كما بين "القاف" و "الكاف". ويمكن ذكر بعض الأمثلة كما يلي:[85]

- إبدال السين صاداً مثل: "سراط / صراط" و "سخَّر لكم / صخَّر لكم". وهذه الظاهرة الصوتية توجد في اللهجة السورية البدوية، تم الحديث عنها من قبل ولا داعي لتكرارها. أما في لهجات الحضر فإن الأمر منقلب تماماً؛ فيقولون: (سَقعَة)، في (صَقعَة).

- إبدال القاف كافاً مثل: "قشطت" بلغة تميم وأسد وقيس. و "كشطت" بلغة قريش. وهذه أيضاً موجودة في اللهجة السورية البدوية، فيقلبون "القاف" إلى "كاف" تارة وإلى "گ" أي صوت (g) تارةً أخرى. فيقولون في: (وَقْت / يَقتُل) (وَكْت / يِكتُل). وفي: (قَالَ / قَامَ / مُشتَاق) (گالْ / گَامْ / مِشْتَاگْ). أما في لهجة الحضر فنجدهم يقلبون "القاف" إلى "همزة"، فيقولون في: (قَمَر / قَلَم / مُشتَاق / وَقْت) (أَمَر / أَلَم / مْشتَاء/ وَئْت).[86]

2.3.5. الإبدال في بعض الظواهر الصوتية المتناثرة

وفي الحديث عن الصفات الصوتية للَّهجات يمكن وصف بعضها باللهجات المتناثرة كونها منسوبة إلى جهات معينة، والبعض الآخر منها لا يُعرف نسبتها لأي جهة أو قبيلة، أو خاصة بقبيلة معينة بغض النظر عن بدويتها أو حضريتها. ومنها:

"تلتلة بهراء"، وهذه الظاهرة معروفة بكسر حرف المضارعة للفعل الثلاثي كما في (تَعلم = تِعلم).[87] ولو نظرنا في اللهجات العربية الحديثة نجد هذه الظاهرة منتشرة في كثير منها. والأمر نفسه لدى اللهجة السورية البدوية أكثر من الحضرية. فيقولون في: (نَكتُبُ / نَقرَأُ / يَمشي / يَركُض) (نِكتُب / نِقرَا / يِمشِي / يِركُض).

---

[83] أنيس، *في اللهجات العربية*، 108.

[84] الخلف، "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية"، 121.

[85] أنيس، *في اللهجات العربية*، 111–114.

[86] الخلف، "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية"، 119.

[87] أنيس، *في اللهجات العربية*، 121.

"طُمطُمانية حِمِيَر" وهذه الظاهرة معروفة بقلب اللام في أداة التعريف ميماً، كما في الحديث المروي عن النبي (ليس من امبر امصيام في امسفر)، أي (ليس من البر الصيام في السفر).[88] وهذه الظاهرة موجودة في حتى يومنا هذا في اللهجة السورية البدوية والحضرية على حد سواء. فيقولون: (امبارح) في (البارحة).

"استنطاء هذيل" وهذه الظاهرة تكون بقلب "العين" في "أعطى" إلى "نون"، فيقولون: "أنطى". وقد قرئ "إنا أنطيناكَ الكوثر".[89] وظاهرة الاستنطاء هذه أيضاً موجودة حتى يومنا هذا في اللهجة السورية البدوية دون الحضرية، فيقولون: (انْطِينِي) في (أعطيني). أما في لهجة الحضر فيقولون: (عَطِينِي) بحذف الهمزة من أول الفعل.

الخاتمة

تبيَّن خلال الدراسة أن الظواهر الصوتية التي تم الوقوف عليها تُشكّل جزءاً مهماً في التأصيل اللغوي للهجات الحديثة من جهة، وفي الحديث عن مقاييس الفصاحة لهذه اللهجات من خلال بدويتها وحضريتها من جهة أخرى. حيث وجدنا تشابهاً كبيراً بين اللهجات العربية القديمة واللهجات السورية الحديثة في نُقطة أساسية كبرى، ألا وهي انقسام كل منها إلى قسمين متباينين؛ بدويةٍ وحضرية. فاللهجات العربية القديمة والسورية الحديثة تشكل صورة نمطية متشابهة من حيث الخصائص الجغرافية، فالبيئة الحجازية الحضرية سَكَنت غرب الجزيرة العربية، أما البيئة التميمية البدوية سَكَنَت وسط الجزيرة وشرقيها. والأمر ذاته في اللهجات السورية الحديثة، إذ رأينا لهجة البيئة الشامية الحضرية المعروفة بلهجة (المدينة) متوزعة في الجزء الغربي من الجغرافية السورية، أما لهجة البيئة البدوية أو ما تسمى بـ(الريفية) متوزعة في الجزء الشرقي من البلاد. وضمن هذه النقطة الأساسية وجدنا تشابهاً في نقاط أخرى متصلة ببعضها، ومرتبطة بالصفة البدوية أو الحضرية تناولناها في فصول مستقلة.

في الفتح والإمالة، وجدنا انقساماً بين اللهجات القديمة نفسها من حيث إيثار هاتين الظاهرتين، فرأينا قبائل البيئة الحجازية من سكان الحضر قد آثروا استخدام الفتح في كلامهم، أما قبائل البيئة البدوية من سكان وسط الجزيرة العربية وشرقيها قد آثروا استخدام الإمالة في كلامهم. أما في اللهجات السورية الحديثة فالأمر منعكس تماماً؛ حيث تظهر الإمالة في لهجات الحضر من سكان المدن. أما في لهجات البدو من سكان الريف وحوض الفرات فلا إمالة في لهجاتهم بل يثيرون الفتح في كلامهم، وهذا أقرب للفصيح.

وفي الهمز وجدنا اللهجات القديمة تنقسم بين تحقيقه وتسهيله، ففي لهجة تميم تكون الهمزة محققةً في كلامهم العادي وفي لغة الشعر والخطابة على حد سواء. أما في لهجة الحجاز فإن الهمزة مخففةٌ في الكلام العادي ومحققة في لغة الشعر والخطابة. وفي هذه الظاهرة تحديداً يُحسَب لتميمٍ في فصاحتها ويُعتَدَّ بها في تحقيق الهمز. أما في اللهجات السورية الحديثة فإن الهمزة مخففةٌ فيهما على حد سواء، مع اختلاف بسيط في مواضع الهمزة، في رأس الكلمة أو الوسط أو الآخر.

أما الإبدال، فإن اللهجات القديمة والحديثة تستبدل العديد من الأصوات مكان أصوات أخرى بنسب متفاوتة وأنماط متعددة، بين شديدة ورخوة أو مجهورة ومهموسة أو مرققة ومفخمة. ففي اللهجات القديمة يتَّضح أن لهجات البيئة البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة والمجهورة والمفخمة، أما لهجات البيئة الحضرية فتميل إلى الأصوات الرخوة والمهموسة والمرققة. فكل بحسبِ طبيعته يميل إلى ما يناسبه. أما في اللهجات السورية الحديثة فإن الإبدال يظهر بكثرة في كلا اللهجتين، منها ما يتناسق مع صفات اللهجات القديمة من بدوية وحضرية، ومنها ما انعكس وصار الأصل للَّهجة البدوية وما شذَّ عن الأصل للَّهجة الحضرية.

الإبدال وإن كان موجوداً حقيقةً ضمن اللهجات المتفرقة إلا أنّه شاذٌ في كثير من المواضع ولا يُقاس عليه ولا يُعتَدُّ بها في الاحتجاج، لذلك سُمّي عند أئمة اللغة بالإبدال السماعي أو غير القياسي.

[88] أنيس، *في اللهجات العربية*، 122.

[89] أنيس، *في اللهجات العربية*، 122.

ومن أبرز الأمور التي توصلنا إليها خلال البحث بأن أغلب هذه الظواهر تتحقق من باب السهولة، وتخفيف العناء خلال عملية الكلام، والاقتصاد من المجهود الفيزيولوجي الحاصل في النطق. وهذا الأمر موجود في كل لغات العالم، إذ من طبيعة الإنسان أن يميل إلى السهولة ويبتعد عن العناء والمشقّة. لذلك سمّيت هذه بنظرية السهولة في مجال علم الأصوات الحديث.

نجد أن الكثير من الظواهر الصوتية القديمة مازالت مستخدمة لدى كثيرٌ من شعوب المنطقة، فيحتفظون بهذه الظواهر اللُّغوية، ويستعملونها في حديثهم اليومي. ويُعتَبَر هذا احتفاظ اللَّهجات الحديثة ببعض الآثار القديمة.

المَصادر والمراجع

ابن جني، أبو الفتح. *الخصائص*. محمد علي النجار. 3 مجلد. القاهرة: دار الكتب المصرية، 2 الطبعة، 1952.

ابن جني، أبو الفتح. *سر صناعة الإعراب*. حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، 2 الطبعة، 1993.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، *الحجة في القراءات السبع*. عبد العال سالم مكرم. بيروت: دار الشروق، 1979.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. محمد محي الدين عبد الحميد. 4 مجلد. القاهرة: دار الطلائع للنشر، 2009.

ابن فارس، أحمد. *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*. أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلمية، 1 الطبعة، 1997.

ابن منظور، جمال الدين. *لسان العرب*. 15 مجلد. بيروت: دار صادر، 3 الطبعة، 1993.

ابن يعيش، موفق الدين بن علي، *شرح المفصل*. القاهرة: المطبعة المنيرية، بدون تاريخ.

وصفي زكريا، أحمد. *عشائر الشام*. دمشق: دار الفكر، 1983.

الجندي، أحمد. *اللهجات العربية في التراث*. 2 مجلد. القاهرة: الدار العربية للكتاب، 1983.

الخلف، مسعود. "اللهجة الفراتية السورية في محافظة دير الزور: دراسة صوتية دلالية". *دورية عمران للدراسات الاجتماعية* 41/11 (2022)، 101–133.

الراجحي، عبده. *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*. طنطا: دار الصحابة للتراث، 1 الطبعة، 2009.

السَّامرائي، إبراهيم. *في اللَّهجات العربيّة القديمة*. بيروت: دار الحداثة، 1994.

السيوطي، جلال الدين. *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. محمد جاد المولى بك. 2 مجلد. بيروت: المكتبة العصرية، 1986.

الصالح، صبحي. *دراسات في فقه اللغة*. بيروت: دار العلم للملايين، 16 الطبعة، 2004.

أنيس، إبراهيم. *الأصوات اللغوية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1999.

أنيس، إبراهيم. *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 8 الطبعة، 2003.

أنيس، إبراهيم. *مستقبل اللغة العربية المشتركة*. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة الرسالة، 1960.

أنيس، إبراهيم - وآخرون. *المعجم الوسيط*. القاهرة: مجمع اللغة العربية القاهرة، 4 الطبعة، 2004.

حجازي، محمود فهمي. *مدخل إلى علم اللغة*. القاهرة: دار قباء، د.ت.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة. *ديوان ذي الرمة*. أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.

سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب*. عبد السلام هارون. 5 مجلد. القاهرة: مكتبة الخانجي، 2 الطبعة، 1982.

شفيع الدين، محمد. "اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى: دراسة لغوية". *مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ* 4 (2004)، 75–96.

عبد التواب، رمضان. *بحوث ومقالات في اللغة*. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1 الطبعة، 1982.

فريحة، أنيس. *اللهجات وأسلوب دراستها*. بيروت: دار الجيل، 1 الطبعة، 1989.

فُك، يوهان. *العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب*. ترجمة عبد الحليم النجار. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014.

فندريس، جوزيف. *اللغة*. ترجمة عبد الحميد الدواخلي. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1 الطبعة، 2014.

كريم، محمد رياض. *المقتضب في لهجات العرب*، 1996.

نبي، أنجب غلام. "اللهجات العربية المعاصرة والتأصيل اللغوى". *جامعة القاهرة - مركز اللغات الاجنبية والترجمة التخصصية* 46 (2014)، 89–115.

هلال، عبد الغفار. *اللهجات العربية نشأةً وتطوراً*. القاهرة: مكتبة وهبة، 2 الطبعة، 1993.

يعقوب، إميل بديع. *موسوعة علوم اللغة العربية*. 10 مجلد. بيروت: دار الكتب العلمية، 1 الطبعة، 2006.

KAYNAKÇA

Abduttevâb, Ramazân. Buhûs ve Makâlât fi'l-Luga, Mektebetu'l-Hâncî, 1. bs, Kahire, 1982.

el-Cundî, Ahmed Alemuddîn. *el-Lehecâtu'l-'Arabiyye fi't-Turâs,* ed-Dâru'l-'Arabiyyetu li'l-Kitâb, b.y. 1983.

el-Halef, Mes'ûd. el-Lehcetu'l-Furâtiyyetu's-Suriyye fi Muhâfazati Deyre'z-Zor: Dirâsetun Savtiyye Delâliyye, *Devriyyetu 'Umrân li'd-Dirâsâti'l-İctimâ'iyye*, sy. 11, c. 41, ss. 101-133, 2022.

Enîs, İbrahîm. *el-Esvâtu'l-Lugaviyye,* Mektebetu'l-Enclo el-Mısrıyye, 6. bs. Kahire, 1999.

_____. *Fi'l-Lehecâti'l-'Arabiyye,* Mektebetu'l-Enclo el-Mısriyye, Kahire, 2010.

_____. *Mustakbeli'l-Lugati'l-Arabiyyeti'l-Müştereke*, Matbaatu'r-Risâle, Kahire, 1960.

_____. vd. *el-Mu'cemu'l-Vasît,* Mecmai'l-Lugati'l-Arabiyye, Mektebetu'ş-Şurûk, 4. bs. Kahire, 2004.

er-Râcihî, 'Abduh. *el-Lehecâtu'l-'Arabiyye fi'l-Kıraâti'l-Kur'âniyye*, Dâru's-shâbe li't-Turâs, Tanta, 1996.

es-Sâlih, Subhi. *Dirasât fî Fıkhi'l-Luga,* Dâru'l-İlim li'l-Melâyîn, 3. bs. Beyrut, 1969.

es-Sâmarrâî, İbrahîm. *Fi'l-Lehcâti'l-'Arabiyyeti'l-Kadîme*, Dâru'l-Hadâse, Beyrut, 1994.

es-Suyûtî, Celaluddîn. *el-Muzhir fİ 'Ulûmi'l-Lugati ve Envâihe,* (thk. Muhammed Câdu'l-Mevla Beg) el-Mektebetu'l-'Asriyye, Beyrut, 1986.

Fureyha, Enîs. *el-Lehecât ve Uslûb Dirâsetiha*, Dâru'l-Cîl, Beyrut, 1989.

Fück, Johann. *el-'Arabiyye, Dirâsât fî'l-Luga ve'l-Lehecât ve'l-Esâlîb*, (trc. Abdulhalîm en-Neccâr), el-Merkezu'l-Kavmî li't-Terceme, Kahire, 2014.

Hâmid Hilâl, Abdulğaffâr. *el-Lehecâtu'l-'Arabiyye Neş'eten ve Tetavvuran*, Mektebet Vehbe, 2. bs. Kahire1993.

Hicâzî, Mahmûd Fehmi. *Medhal İlâ İlmi'l-Luga,* Dâr Kubaa, Kahire, ts.

İbn 'Akîl, Abdullah b. 'Akîl el-Mısrî, *Şerhu İbn 'Akîl 'alâ Elfiyyeti İbn Mâlik*, (thk. Muhammed Muhyiddîn Abdulhamîd), Dâru't-Talâi'i li'n-Neşr, Kahire, 2009.

İbn Cinnî, Ebu'l-Feth Osmân b. Cinnî. *el-Hasâis,* (thk. Muhammed Ali en-Neccâr), Dâru'l-Kutubi'l-Mısriyye, 2. bs. Kahire, 1952.

_____. *Sirru Sınâ'ati'l-İ'râb,* (thk. Hasan Hindâvi), Dâru'l-Kalem, 2. bs. Dimaşk, 1993.

İbn Fâris, Ebu'l-Huseyin, Ahmed b. Fâris. *es-Sâhibi fî Fıkhi'l-Lugati'l-'Arabiyye ve Mesâiliha ve Suneni'l-'Arab fî Kelâmiha,* (thk. Ahmed Hasan Besec), Dâru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, Beyrut, 1997.

İbn Hâleveyh, el-Huseyn b. Ahmed. *el-Hucce fi'l-Kıraâti's-Seb'*, (thk. Abdulâl Sâlem Mukerrem), Dâru'ş-Şurûk, Beyrut, 1979.

İbn Manzûr, Ebu'l-Fadl Cemaluddîn b. Manzûr el-İfrikî. *Lisânu'l-'Arab,* (thk. el-Yâzicî vd.) Dâr Sâder, 2. bs. Beyrut, 1993.

İbn Ya'îş, Muvaffakuddîn b. Ali, *Şerhu'l-Mufassal*, el-Matbaa el-Munîriyye, Kahire, ts.

Kerîm, Muhammed Riyâd. *el-Muktadab fî Lehecâti'l-'Arab*, b.y. 1996.

Nebi, Enceb Ğulam, ts. el-Lehecâtu'l-'Arabiyyetu'l-Muâsira ve't-Ta'sîlu'l-Lugavî, *Câmiatu'l-Kahire – Merkezi'l-Lugâti'l-Ecnebiyye ve'y-Terceme et-Tahassusiyye*, cilt: 46, ss. 89-115, 2014.

Sîbeveyhİ, Amr b. Osmân. *el-Kitâb,* (thk. Abdusselâm Muhammed Harun), Mektebetu'l-Hâncî, 3. bs. Kahire, 1982.

Şefi'uddîn, Muhammed. el-Lehecâtu'l-'Arabiyye ve 'Alâkatuha bi'l-Lugati'L-'Arabiyyeti'l-Fusha, *Mecelletu Dirâsâti'l-Câmi'ati'l-İslâmiyyeti'l-'Alemiyye Çitagong*, sy. 4, ss. 75-96, 2004.

Vasfi Zekeriyye, Ahmed. *'Aşâir el-Şâm*. Dâru'l-Fikr, 2. bs. Dimaşk, 1983.

Vendryes, Joseph. *el-Luga,* (trc. Abdulhamîd ed-Davâhilî vd.), el-Merkezu'l-Kavmî li't-Terceme, Kahire, 2014.

Ya'kûb, Emil Bedî'. *Mevsû'etu 'Ulûmi'l-Lugati'l-'Arabiyye*, Dâru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 1. bs. Beyrut, 2006.

Zu'r-rumme, Gaylân b. 'Ukbe. *Divân Zu'r-Rumme,* (thk. Ahmed Hasan Besec), Dâru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, Beyrut, 1995.

STRUCTURED ABSTRACT

This research aims to comprehensively address the major common points between ancient and modern Arabic dialects. It then presents the secondary shared points between them through detailed explanation and analysis. These dialects exhibit several common phonological phenomena that lead us to believe that the phonological features present in modern dialects originate from the ancient dialects. However, some recent linguistic studies neglect to attribute these phenomena to their ancient origins. Therefore, this research attempts to address this issue and aims to establish the connection between modern and ancient dialects while determining the level of eloquence in modern dialects. This study follows a comparative descriptive approach, collecting information on the subject through observation and measurement of shared phonological phenomena, followed by their analysis, interpretation, and comparison, as well as determining their prevalence throughout ancient and modern times.

The identified phenomena play a crucial role in the linguistic foundation of modern dialects on one hand, and in discussing the standards of eloquence for these dialects through their distinction between Bedouin and urban aspects on the other. A significant resemblance has been found between ancient Arabic dialects and modern Syrian dialects in a major point, which is the division of each into two distinct categories: Bedouin and urban. Both ancient Arabic and modern Syrian dialects exhibit a similar geographical distribution, where urban dialects are associated with the urban environment in the western regions, while Bedouin dialects are prevalent in the central and eastern areas. This similarity extends to other connected points related to the Bedouin or urban nature of these dialects, which have been discussed in separate chapters, leading to several important findings.

In the first chapter, we discussed the phenomena of "fathah" (short vowels) and "imālah" (gliding) and found a division among ancient dialects themselves regarding the preference for these two phenomena. In ancient times, urban residents favored the use of "fathah" in their speech, while Bedouin tribes preferred "imālah." In contrast, in modern Syrian dialects, this preference is entirely reversed, with "imālah" appearing in urban dialects, and Bedouin dialects lacking it, favoring "fathah" instead. This aligns more closely with eloquence.

In the second chapter, we discussed the phenomenon of "hamzah" (glottal stop) and found that ancient dialects divided between realization and simplification of the "hamzah." In the Tamimi dialect, the "hamzah" is realized in both regular speech and in poetic and rhetorical language. In the Hijazi dialect, the "hamzah" is simplified in regular speech but realized in poetic and rhetorical language. In modern Syrian dialects, the "hamzah" is simplified in both dialects, with slight variations in its position, whether at the beginning, middle, or end of a word.

In the third chapter, we discussed the phenomenon of "i'badal" (substitution), where both ancient and modern dialects replace various sounds with different sounds to varying extents and in various patterns. In ancient dialects, it is evident that the Bedouin environment tends to favor strong, voiced, and intensified sounds, while the urban environment leans toward weak, softened, and light sounds. Each environment favors what suits it best. In modern Syrian dialects, substitution is common in both dialects, with some aligning with the characteristics of ancient dialects, whether Bedouin or urban, and others deviating from the original, especially in urban dialects.